المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 12

شوال ١٤٣١

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

فهرس العدد

في رحاب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

حياؤه وإغضاؤه صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،،

فلا شك أن رحاب السيد الكامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحرٌ لا يُدْرَكُ شاطؤه، فهو أكمل الورى خَلْقاً وخُلُقاً، وأعلاهم قدراً وشرفاً، وأعزهم جاهاً ونسباً، سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين، وإنَّ مما يشرف به المقال، وتتزين بحُلاه الكلمات، أن نتكلم عن بعض خصاله الشريفة ومحاسنه المنيفة كحيائه وإغضائه صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاءً، قال الله تعالى: [إِنَّ ذَلِكُم كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فيستحْيِي مِنْكُمْ] (الأحزاب: ٥٣)، ورُوِيَ عن سيدِنا أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال: p كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ i (رواه الشيخان)، وكان صلى الله عليه وآله وسلم لطيفَ البشرة رقيق الظاهر لا يُشافِهُ أحداً بما يكرهُهُ حياءً وكرمَ نفس، رُوِيَ عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: p كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ مَا بَالُ فُلانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا i (رواه أبو داود)، وروى سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان عنده رجل به أثر صفرة، قال رضي الله عنه: p وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكادُ يواجه أحداً بشيء يكرهه i ، فلما قام قال للقوم: p لو قلتم له يدع هذه الصفرة i (رواه الترمذي في الشمائل)، كذلك جاء عن السيدة عائشة رضى الله تعالى

عنها وعن أبيها قالت: p لَمْ يَكُنْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَلا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ i (رواه الترمذي)، ذلك وصفه الكريم في الإنجيل والتوراة كما روى ابن سلام وسيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه، ومن حيائه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره، هذا بعضٌ مِنْ وَصفِ كامِلِ الجمال والجلال، السَّيد الطاهر المعظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ مهما بلغ الكاتب وأجاد، لم يبلغ سماءَ حسنه الشريف في القول والفعال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

من عظماء الإسلام

أم المؤمنين

حفصة بنت عمر بن الخطاب عليهما السلام

اسمها عليها السلام:

هي السيدة الطاهرة الزكية، الصوامة القوامة، وارثة الصحيفة الحافظة للكتاب العزيز، أم المؤمنين حفصة بنت سيدنا أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب عليهما السلام، فأبوها سيدنا أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشية الجمحية.

مولدها ونشأتها وزواجها عليها السلام:

ولدت السيدة حفصة عليها السلام وقريش تبني البيت قبل مبعث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين، ونشأت في كنف أبيها وأمها حتى بلغت مبلغ النساء، فخطبها سيدنا خنيس بن حذافة السهمي ودخلا الإسلام معاً وهاجرت معه إلى الحبشة، ثم هاجرت معه إلى المدينة لما هاجر سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليها، وشهد زوجُها بدراً وأصيب فيها واستشهد رضي الله تعالى عنه متأثراً بجراحه ولم تلد له شيئاً، ولما انقضت عدتها ذكرها سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لسيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه وعرضها عليه فلم يرجع إليه سيدنا أبو بكر كلمة، ثم عرضها على سيدنا عثمان حين ماتت السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يجبه كذلك، فانطلق سيدنا عمر إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بعرضه السيدة حفصة على سيدنا عثمان، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p يَتَزَوَّجُ حفصةَ مَنْ هُوَ خيرٌ مِنْ عثمانْ i (رواه ابن حجر في الإصابة)، ثُمَّ خطبَها إلى سيدنا عمر فتزوجها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقي سيدنا أبو بكر

سيدنا عمر بن الخطاب فقال له: "لا تجد عليّ في نفسك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ذكر حفصة فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو تركها لتزوجتها"، وكان زواجها منه صلى الله عليه وآله وسلم في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وأصْدَقَها أربعمائة درهم. وقد طلقها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطليقة ثم ارتجعها، وذلك أن سيدنا جبريل عليه السلام أتاه فقال: p راجع حفصة فإنها قوامة صوامة وإنها زوجتك في الجنة i (أخرجه ابن سعد)، وفي رواية أن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لما سمع بطلاق ابنته من سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى بكاءً شديداً وحثا على رأسه التراب وقال: "ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا"، فنزل سيدنا جبريل عليه السلام من الغد على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: p إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمةً لِعُمَر i (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير).

مناقبها عليها السلام:

كانت السيدة حفصة عليها السلام من المهاجرات الأوائل، وكانت صوامة قوامة، كريمة سخية، مُقبلة على كتاب الله تعالى مُعتنية به، روت عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن سيدنا عمر عليه السلام، وروى عنها أخوها عبد الله وابنه حمزة وزوجته صفية بنت أبي عبيد رضي الله تعالى عنهم، وروى عنها خلق كثير، وقد تشرفت السيدة حفصة عليها السلام بحفظ الكتاب العزيز في بيتها بعد انتقال سيدنا عمر بن الخطاب عليه السلام إلى رحمة الله تعالى.

وفاتها عليها السلام:

توفيت السيدة حفصة عليها السلام في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين للهجرة، وصلى عليها مروان بن الحكم وكان أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها، وحمله أيضاً سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وقد بلغت إحدى وستين سنة، رحمها الله تعالى رحمة واسعة وألحقنا بها في مستقر رحمته، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من أدب الإسلام

آداب المجالسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

إن من عادة الشعوب والأمم أن تجتمع في مجالس، وخيرها ما كان فيه مصلحة أو فائدة على المستوى الخاص للفرد أو للمجتمع، لذا كان لابد أن نتنبه لطائفة من آدابها، ونعرف ماهية السلوك الشرعي المحبب فيها، حتى نقتدي بأدب سيد الخلق أجمعين، سيدِنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، **وإنَّ من أهم هذه الآداب والفضائل الشرعية:**

أنك إذا دخلت إلى مجلس فابدأ بالسلام على من فيه جميعاً، وإذا أردت المصافحة لمن فيه فابدأ بالأفضل أو الأعلم أو الأتقى أو الأكبر، أو نحو هذا من الصفات المكرمة شرعاً، ولا تبدأ بأول من تراه في أول الصف ولو كان من جهة اليمين إذا كان مفضولاً وتدع الفاضل أو الأفضل، فإنما يُبدأ بصاحب وصفٍ يفضُلُ به الحاضرينْ، فإن لم تعرف فيه أفضلهم، أو تساووا بالفضل فابدأ بأكبرهم، فإن هذا لا يخفى شأنه غالباً، وقد قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** كَبِّرْ كَبِّرْ **i** ، وفي رواية: **p** كَبِّر الكُبُرَ في السن **i** (رواه البخاري ومسلم)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** ابْدَؤا بالكُبَراء **i** أو قال: **p** بالأكَابِرْ **i** (موطأ الإمام مالك من رواية محمد بن الحسن).

أخي المسلم: إذا تحدثت عند من تزوره فلا تتحدث إلا بما يناسب المقام مع الإيجاز، وإذا كنت صغير القوم في المجلس فلا تتكلم إلا إجابة عن سؤال يوجه إليك من أحد الجالسين، أو إلا إذا علمت أن حديثك وكلامك سيقع منهم في موقعه، ويسرهم ويرضيهم، ولا تسهب في الحديث، ولا تغفل عن أدب المقام في هيئة جلوسك وأسلوب كلامك وخطابك.

وإذا دخلت مجلساً فلا تجلس بين جليسين، ولكن خُذ ناحيتهما يميناً أو يساراً، فقد قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p لا يُجلَس بين رجلين إلا بإذنهما i (رواه أبو داود).

ومن أدب المجالسة: أنك إذا حادثتَ ضيفك أو أحداً من الناس، أن يكون صوتك لطيفاً خَفِيضاً، وليكن جهرُك بالكلام على قدر الحاجة، فإنَّ الجهرَ الزائدَ عن الحاجة يُخِلُّ بأدب المتحدث، ويدلُّ على قلة الاحترام للمُتَحَدَّثِ إليه، وهذا الأدبُ ينبغي مراعاتهُ مع الصديق والمثيل، ومع من تعرفه ومن لا تعرفه، ومع الأصغر منك والأكبر، وتزدادُ مراعاتُه تأكيداً مع الوالدين أو من في مقامهما، ومع من تُعَظِّمُه من الناس الأفاضل والأكابر، وإليك بعض النصوص التي تدعو إلى ذلك: ففي القرآن الكريم في وصية لقمان الحكيم رضي الله تعالى عنه لابنه: [وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ](لقمان: من الآية ١٩)، أي: اخفض منه ولا ترفعه عالياً إذا حادثت الناس، فإن الجهر الزائد بالصوت منكرٌ وقبيح، وجاء في البخاري عن عبد الله بن الزبير: بعد أن نزلت آيةُ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ](الحجرات: ٢-٣): "كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه - بعد نزول هذه الآية- إذا حدَّث النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بحديث حَدَّثه كأخي السِّرار - أي كالمناجي المتحدِّثِ بسر-، لم يسمعه حتى يستفهمه، يخفض صوته ويبالغ حتى يحتاج إلى استفهامه عن بعض كلامه"، وحكى الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى أحد التابعين والأئمة الأجلَّة الفقهاء: "قال بكار بن محمد عن عبد الله بن عون: إنَّ محمد بن سيرين كان - إذا كان عند أمِّه- لو رآه رجلٌ لا يعرفه ظَنَّ أنَّ به مَرَضاً من خفضِ كلامه عندها"، وحكى الحافظ الإمام الذهبي أيضاً في ترجمة عبد الله بن عون البصري رحمه الله تعالى تلميذ الإمام ابن سيرين وأحدِ الأئمة الأعلام: "أنَّ أُمَّه نادتهُ، فعَلا صوتُهُ صوتَها، فخاف فأعتقَ رقبتين"، وقال الإمام عاصم بن بَهْدَلة الكوفي المقرئ صاحبُ القراءة المعروفة: "دخلتُ على

عمر بن عبد العزيز، فتكلَّم رجلٌ عنده فَرفع صوتَهُ، فقال عمر: مَهْ، كُفَّ، بِحَسْب الرجل من الكلام ما أَسمَعَ أخاه أو جليسه".

ومن أدب المجالسة أيضاً: أنك إذا حدثك جليسُك بحديثٍ ظنَّك لم تعرفه - وكنت تعرفه-، فلا تُخجله بإظهار معرفتك له، ولا تُدخِله فيه، وأبدِ له اهتمامك وإصغاءَك، فقد قال التابعي الجليل الإمام عطاء بن أبي رباح: "إنَّ الشابَّ ليُحدِّثني بحديث، فأستمعُ له كأني لم أسمعه، ولقد سمعتُه قبل أن يُولَد"، وقال خالد بن صفوان التميمي جليسُ الخليفة عمر بن عبد العزيز: "إذا رأيت محدِّثاً يُحدِّث حديثاً قد سمعتَه، أو يُخبرُ بخبرٍ قد علمتَه، فلا تشاركه فيه، حرصاً على أن يعلم من حضرك أنك قد علمتَه، فإن ذلك خِفَّةٌ منك، وسوءُ أدب"، وقال الإمام الجليل عبد الله بن وهب القرشي المصري صاحب الإمام مالك والليث بن سعد والثوري وغيرهم: "إني لأسمعُ من الرجل الحديث قد سمعتُه قبلَ أن يجتمع أبواه - يعني: قبل ولادته ووجوده- فأنصتُ له كأني لم أسمعه"، وقال إبراهيم بن الجُنيد: قال حكيم لابنه: "تعلَّم حُسنَ الاستماع، كما تتعلمُ حُسنَ الكلام، فإن حُسنَ الاستماع إمهالُك للمتكلم حتى يُفضيَ إليك بحديثه، وإقبالُك بالوجهِ والنظر عليه، وتركُ المشاركة له في حديثٍ أنت تعرفه"، وأنشد الحافظ الخطيب البغدادي في هذا المقام:

ولا تُشَارِكْ فِي الحدِيثِ أهلَهُ   وَإِنْ عَرَفْتَ فَرْعَهُ وأصْلَهُ

ومن أدب المجالسة أيضاً: أنك إذا أُشكل عليك شيء من حديث محدِّثك، فاصبر عليه حتى ينتهي من الحديث، ثم استفهم منه بأدب ولطف وتمهيدٍ حَسَنٍ للاستفهام، ولا تقطع عليه كلامه أثناء الحديث، فإن ذلك يُخِلُّ بأدب الاستماع، ويُحركُ في النفس الكراهة، إلاَّ إذا كان المجلسُ مجلسَ دِراسة وتعلُّم، فإن له حينئذٍ شأناً آخر، ويَحسُنُ فيه السؤالُ والمناقشةُ عند تمام الجملة أو المعنى الذي يشرحه المعلم، وينبغي أن تكون المناقشةُ فيه بأدب وكِياسةٍ، قال الخليفة المأمون: "العلمُ على المناقشة، أثبتُ منه على المتابعة"، وقال الهيثم بن عَدِيّ أحدُ العلماء الأدباء المؤرخين، وجليسُ الخليفة أبي جعفر المنصور والمهدي والهادي والرشيد: قالت الحكماء: "من الأخلاق السيئة مغالبةُ الرجل على كلامه، والاعتراض فيه لقطع حديثه".

ومن أدب المجالسة أيضاً: إذا سُئل جليسك عن شيء، أن لا تبادر أنت إلى الإجابة عنه، بل ينبغي أن لا تقول فيه شيئاً حتى تسأل عنه، فإن ذلك أحفظُ لأدبك، وأنبلُ لشخصك، وأرفعُ لحديثك ومقامك، حكى التابعي الجليل مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى: قال لقمان لابنه: "إياك إذا سُئل غيرك أن تكون أنت المجيب، كأنك أصبت غنيمة، أو ظفرت بعطيَّة، فإنك إن فعلت ذلك، أزريت بالمسؤول، وعنفت السائل، ودللتَ السفهاء على سفاهةِ حِلمك، وسوء أدبك"، قال الشيخ ابن بطة المحدِّث الفقيه الحنبلي: كنتُ عند الإمام أبي عمر الزاهد - الحافظ العلامة اللغوي محمد بن عبد الواحد البغدادي الملقب: "غلامَ ثعلب"- فسُئل عن مسألة، فبادرتُ أنا فأجبتُ السائل، فالتفتَ إليَّ أبو عمر الزاهد فقال لي: تعرفُ الفُضُوليَّات المنتقبات؟! يعني: أنت فضولي، فأخجلني!

ومما يزين به المجلس وتتعطر به الأرواح، وتحصل به البركة، الصلاة على سيدنا ومولانا النبي المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله في أي مجلس كان، لما رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ إِلا كَانَ مَجْلِسُهُمْ تِرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ i (رواه أحمد)، فحذارِ أن تتساهل في التخلي عن كل أدب إسلامي شريف، فإنك إن فعلت ذلك غبنتَ نفسك، وظلمت الحقَّ الذي عليك، وجانبت هدي سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستعن بالله على مرضاته وآدابِ شريعته، وهو الذي يتولى الصالحين، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بالآداب الصالحة المرضية وأن يرزقنا وإياكم الثبات عليها وحسنَ رعايتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من وظائف العام

شهر شوال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام كلها مقادير الآجال، ومواقيت الأعمال، تنقضي سريعاً وتمضي جميعاً، والذي أوجدها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول، ودائم لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيب مشاهد، فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم يسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم، فهذه الأيام تمضي عنا وترحل، فيا فوز من استفاد منها وتعرض لما فيها من نفحات الله الذي وفى للعاملين أجورهم وأجزل، ويا ندم من فرط في الزرع وقت البذار، لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار.

ترحـــل الشـــهر والهفـــاه واهدمـــا — و اختص بـــالفوز بالجنـــات مـــن خـــدما
و أصـــبح الغافـــل المســـكين منكســـرا — مثلي فيا ويحه يـــا عظـــم مـــا حــــرم
من فاته الـــزرع في وقـــت البـــدار فمـــا — تراه يحصـــد إلا الهـــم و الندمـــــــا
طـــوبى لمـــن كانـــت التقـــوى بضـــاعته — في شهـــــــره و بحبـــل الله معتصـــما

لما انقضى شهر الصيام أقبلت الأشهر الثلاثة، أشهر الحج إلى بيت الله الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه، كذلك من حج البيت و لم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف.

وهذا موسم وظيفة شهر شوال، قال سيدي علي بن سالم النوري الصفاقسي رحمه الله في كتاب (المنقذ من الوحلة): "شهر شوال شابه شعبان لأن كليهما متصل برمضان وفضله اللاحق بشرف

هذه الأمة لتعظيم أجورهم، وأول ليلة منه من الليالي الست التي يستحب إحياؤها، وأول يوم منه عيد الفطر، وسمي يوم الرحمة وهو من المواسم الشرعية الثلاثة، وهو الثاني منها، وهو يوم قدره عند الله عظيم، ويحرم صوم هذا اليوم بلا خلاف ولو لناذرة إذ الخلق كلهم في ضيافة الله، والسنة فيه التوسعة على العيال بما أمكن وتيسر، وفي هذا الشهر اصطفى الله جبريل للوحي، وفيه تزوج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وبنى بها فيه، لذلك يستحب فيه عقد النكاح والبناء بالأزواج، وفيه أنزل المن والسلوى على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من بني إسرائيل في التيه، وهو من أشهر الحج الثلاثة "ا.هـ.

ويتأكد صيام ستة أيام فيه، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر i ، قال الإمام ابن رجب في اللطائف: "اختلف العلماء في هذا الحديث وفي العمل به، فمنهم من صححه، ومنهم من قال: هو موقوف، قاله ابن عيينة وغيره وإليه يميل الإمام أحمد، ومنهم من تكلم في إسناده، وأما العمل به فاستحبَّ صيامَ ستة من شوال أكثرُ العلماء، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وطاوس، والشعبي، وميمون بن مهران وهو قول ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأنكر ذلك آخرون، وروي عن الحسن أنه كان إذا ذكر عنده صيام هذه الستة قال: "لقد رضي الله بهذا الشهر للسنة كلها، ولعله إنما أنكر على من اعتقد وجوب صيامها وأنه لا يكتفي بصيام رمضان عنها في الوجوب، وظاهر كلامه يدل على هذا.

وأما الذين استحبوا صيامها فاختلفوا في صفة صيامها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة، وهو قول الشافعي وابن المبارك وقد روي في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: p من صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة فكأنما صام السنة i (أخرجه الطبراني وغيره).

والثاني: أنه لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء، وهو قول وكيع وأحمد.

والثالث: أنها لا تصام عقب يوم الفطر فإنها أيام أكل وشرب، ولكن يصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض، وأيام البيض أو بعدها، وهذا قول معمر وعبد الرزاق.

وإنما كان صيام رمضان و إتباعه بست من شوال يعدل صيام الدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها، وقد جاء ذلك مفسراً في حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام سنة **i** (أخرجه النسائي)، يعني رمضان و ستة أيام من شوال بعده.

وأما صيام شوال كله: ففي حديث رجل من قريش سمع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **p** من صام رمضان وشوالاً، والأربعاء والخميس دخل الجنة **i** (أخرجه الإمام أحمد)، وأخرج الإمام أحمد من حديث مسلم القرشي عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن صيام الدهر؟ فقال: **p** إن لأهلك عليك حقاً، فصم رمضان، والذي يليه وكل أربعاء وخميس فإذا أنت قد صمت الدهر، وأفطرت **i** ، وأخرج أبو يعلى الموصلي بإسناد متصل عن أسامة قال: كنت أصوم شهراً من السنة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** أين أنت من شوال **i** ، فكان أسامة إذا أفطر أصبح الغد صائماً من شوال حتى يأتي على آخره.

وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة كما ورد ذلك عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه متعددة.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: **p** أفلا أكون عبداً شكوراً **i** (رواه البخاري ومسلم).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال سبحانه: **[** وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونْ **]**(البقرة: من الآية ١٨٥)، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكراً عقب ذلك.

ومنها: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان، بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حياً، وهذا معنى الحديث: **p** أن الصائم بعد رمضان كالكارِّ بعد الفارّ **i** (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان)، يعني كالذي يفرُّ من القتال في سبيل الله ثم يعود إليه.

ومن كان عليه قضاء من شهر رمضان:

من كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ بقضائه في شوال فإنه أسرع لبراءة ذمته وهو أولى من التطوع بصيام ستة من شوال، ولا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان ثم أتبعه بست من شوال، فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ست من شوال حيث لم يكمل عدة رمضان لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال، ومن بدأ بالقضاء في شوال ثم أراد أن يتبع ذلك بصيام ستة من شوال بعد تكملة قضاء رمضان كان حسناً؛ لأنه يصير حينئذ قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال، ولا يحصل له فضل صيام ست من شوال بصوم قضاء رمضان لأن صيام الست من شوال إنما يكون بعد إكمال عدة رمضان، وعمل المؤمن لا ينقضي حتى يأتيه أجله، قال الإمام الحسن رحمه الله تعالى: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً

دون الموت، ثم قرأ: [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ](الحجر: ٩٩)، مع العلم بأنه يجوز مع القضاء إشراك نية التطوع لأن الصغير يدخل في الكبير، والله تعالى أعلى وأعلم.

أيها الأحبة: كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة ترة، فوا أسفاه على زمان ضاع في غير طاعته وواحسرتاه على قلب بات في غير خدمته، من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، كانت علامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية، ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسن منها بعد الحسنة تتلوها، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها، ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً قبلها، النكسة أصعب من الضعفة، وربما أهلكت.

سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات وتعوذوا به من تقلب القلوب، ومن الحور بعد الكور، فما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة، ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل، غني قوم بالذنوب افتقر.

يا شبان التوبة: لا ترجعوا إلى ارتضاع الهوى من بعد الفطام، فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال، ولكن لا بد من الصبر على مرارة الفطام، فإن صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب، من ترك شيئاً لله لم يجد فقده، عوضه الله خيراً منه، قال تعالى: [إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ](الأنفال: من الآية ٧٠)، وفي الحديث: p النظر سهم مسموم من سهام إبليس من تركه من خوف الله أعطاه إيماناً يجد حلاوته في قلبه i (أخرجه الإمام أحمد).

هذا خطاب للشباب، وأما الشيخ إذا ما عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح؛ لأن الشباب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره وهو مخاطر فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة، وأما الشيخ فقد شارف مركبه على ساحل بحر المنون فماذا يؤمل؟

نعـــى لـــك ظـــلَّ الشـــبابِ المشـــيبُ   و نادتْـــكَ باســـمِ سِـــوَاكَ الخُطُـــوبُ
فَكُـــنْ مُســـتعداً لـــدَاعي الفنـــاءِ   فَكُـــلُّ الـــذِي هُـــوَ آتٍ قَريـــبُ

ألسْـــنَا نَـــرَى شـــهواتِ النُّفـــوسِ تَفْنَـــى و تبقَـــى عليَنَـــا الـــذُّنُوبُ

يخَـــافُ علـــى نفسِـــهِ مَـــنْ يتـــوبُ فكيـــفَ يكـــونُ الـــذِي لاَ يتُـــوبُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

قبسات من المجلة الزيتونية

في اللغة

يمتاز الإنسان عن سائر المخلوقات بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، والتعلم باللغة، واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس وتختلج بين جوانحها على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير، وما من شك أن للغة العربية في هذا الميدان شأواً بعيداً ومدىً واسعاً لا يطاول، مما مكّن لها الانتشار في أصقاع الدنيا منذ حملها أهلها إلى الأمم في فتوحات صدر الإسلام بدون أن يلزموهم بتعلمها، فتلقتها تلك الأمم وحفظتها وأتقنتها فلا بِدْع أن صارت من أكبر العوامل للاتحاد بين الناطقين بها، بل جعلت منهم وحدة متماسكة نبت عنها معاول الهدامين والمقوضين.

ذلك أن أحد الكاتبين بتونس إذا ما أراد بحث أي موضوع يريده فما عليه إلا أن يتناول بحثه على المنهاج العربي الذي يختاره، فلا يكاد ينتهي منه ليدرج نشرة دورية حتى يتلقفه العربي بالمشرق ويتفهم معناه وتتجلى له مغازيه ومراميه، وكذلك الشأن فيما يكتبه المشرقي أو ينظمه بالنسبة لأخيه التونسي، بيد أننا نشفق كثيراً من حدوث أخداش في جسم هذه الوحدة المنيعة بما يقع فيه المنشئون عندنا من الأخطاء في مدلول بعض المفردات اللغوية أو في نفس الأساليب التركيبية، والعجيب في الأمر أنه بمجرد صدور خطأ ما من بعضهم سرعان ما يتلقفه الباقون ويتداولونه ويشيع بينهم.

فإذا ما أورد علينا سائلٌ قولهم: "خطأ مشهور خير من صواب مهجور"، فلا نرى له جواباً إلا إثباتنا ما قاله العالم المصري المعاصر السيد علي راتب في مقدمة كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥١ هـــ، مطبعة دار الكتب المصرية، قال ما نصه:

فإن هممنا بمعالجة هذا الخطب – يقصد به ما يقع فيه الأدباء من الأخطاء– فلا يثبطن من همتنا قول المستكينين: "خطأ مشهور خير من صواب مهجور"، فبالله إذا جاء بعدنا جيل فقرأ تلك الكلمات المستعملة في غير وجهها هل كان له غير المعاجم مرجعاً لفهمها، وهناك يجد معنى مبايناً لمراد

الكاتب فيغلق عليه الفهم، ولا يستصغرن أحدنا شأن النطق صواباً، فها هو ذا أثره أننا أصبحنا ولا نفهم كلام إخواننا الشاميين والمغاربة ا.هـــ كلامه.

يقصد الكاتب من هذا أن الاستمرار على اقتراف الأخطاء المنتشرة في اللغة العربية سيفضي بنا إلى حدوث لهجات خاصة بكل إقليم عربي، شأنها في ذلك شأن اللغات العامية المنتشرة في البلاد الإسلامية العربية اليوم، لذا رأينا من الواجب العلمي التعرض لهذه الأخطاء مع بيان وجه تصحيحها، فمن ذلك قولهم: "اعتذر فلان عن الحضور"، بمعنى أنه لم يحضر وأبدى عذره، والصواب أن يقال: "اعتذر من عدم الحضور"؛ لأن المعتذر منه إنما هو عدم الحضور لا الحضور، ثم إن فعل "اعتذر" يتعدى بـــ "من" لا "عن"، يقول الشاعر العربي:

قد قيلَ مَا قيـــلَ إن صِـــدقاً وإِنْ كَـــذِباً فمَـــا اعتـــذارُكَ مِـــنْ قـــولِ إذا قيـــلَ

ويقولون: "إن هذا النبأ مثلاً قد قطع جهيزة كل قائل"، وكأنهم يفهمون من جهيزة معنى الصوت أو النبرات أو القول، وكل ذلك خطأ، والصواب أن يقال: "قطعت جهيزةُ قول كلِّ خطيب"، وجهيزة: اسم امرأة، والكلام مَثَل، ومورد المَثَل ما قاله صاحب القاموس ونصه: وجهيزة امرأة رعناء، واجتمع قوم يخطبون في الصلح بين حيين في دم كي يرضوا بالدية، فبينما هم كذلك قالت جهيزة: ظفر بالقاتل ولي للمقتول فقتله، فقالوا: قطعت جهيزة قول كل خطيب ا.هـــ.

ويقولون: "جاءت الأخبار تنعِي وفاة فلان"، ويكسرون العين من تنعي، وفي تركيبهم هذا خطأ مزدوج، أما الأول ففي جعلهم نعى من باب ضرب لكسرهم العين من تنعي، والصواب أنه من باب قطع أي بفتح عين الفعل في الماضي والمضارع، وعليه فالمضارع تنعى على زنة تنهى، والخطأ الثاني هو قولهم: تنعي وفاة فلان، حيث إن مادة النعي تدل بأصلها على الإخبار بالوفاة، فلا معنى لذكر الموت، قال في القاموس: نعاه لي نعياً، ونعياً بتضعيف الياء وكسر العين، ونعياناً بالضم أخبره بموته، قال شارحه مرتضى (ص: ٣٧٣، ج: ١٠): ظاهر هذا السياق كما للجوهري أيضاً أنه من حد نصر على ما يقتضيه اصطلاحه عند عدم ذكر المضارع، والصواب أنه من حد سعى، ففي المحكم نعاه ينعاه نعياً ونعياناً ا.هـــ، ثم قال بعدُ شارحاً قوله "والنعِيُّ كغَنِي": يكون مصدراً كما تقدم، يقال: جاء نعي فلان، أي نعيه، ويكون بمعنى "الناعي" وهو الذي يأتي بخبر الموت، قال الشاعر:

قَــــام النعِــــــيُّ فاسْـــــمَعَا ونَعَـــى الكَــــريمَ الأَرْوَعَـــــا

ويقولون: "سُمِّيَ فلان عاملاً على بلد كذا"، ويقصدون أنه ولي، وإطلاق التسمية على الولاية غير معروف في العربية، قال في القاموس: واسم الشيء علامته، وقال ابن سيدة: اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز، ونقله عنه في القاموس ثم قال صاحب القاموس: وسماه فلاناً وبه، قال شارحه مرتضى: أي جعله اسماً له وعلَماً عليه ، قال سيبويه: والأصل الباء لأنه كقولك: عرفته بهذه العلامة وأوضحته بها ا.هـ، وقد بذلت مجهوداً في مراجعة دواوين اللغة وموسوعاتها لعلي أجد وجهاً لتصحيح هذا الإطلاق فلم أظفر بذلك، وعليه فالصواب أن يقال: ولي فلان عاملاً على بلد كذا، أو عين أو ما شاكل ذلك.

ويقولون: "استبدَلَ القديمَ بالجديد"، ويقصدون أنه ترك القديم وأخذ مكانه الجديد، وهو خطأ ولئن شاع كثيراً حتى عند كبار الكاتبين والأدباء، ذلك أن مادة استبدل وتبدل وبدل تدلُّ على جعل شيء في موضوع آخر بدلاً منه، والباء تقرن بالمبدل منه أي المتروك لا البدل أي المأخوذ، قال تعالى: [أَتَسْتَبْدِلُونَ الذِي هُوَ أَدْنَى بالذِي هُوَ خيْر](البقرة: من الآية ٦١)، وقال جلَّ مِن قائل: [وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بالإيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سواءَ السَّبيلْ](البقرة: من الآية ١٠٨)، وقال تعالى أيضاً في الآية الثانية من سورة النساء: [وَآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الخبيثَ بالطِّيِّبِ]، قال ابن جُزي: أي لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا مالكم وهو الطيب ا.هـ كلامه، فقد اتضح أن مدخول الباء هو المتروك.

ويقولون: "صرح لسان حال الوزارة الخارجية بكذا"، و"قالت جريدة كذا لسان حال الحزب الفلاني ..."، وهو خطأ؛ لأن المصرح في الواقع ناطق بلسان وزارة الخارجية لا أنها أمارات ودلائل لاحت على وزارة الخارجية فشبهناها بالنطق بجامع الدلالة على المعنى المفهوم، وكذلك في جريدة كذا لسان حال الحزب الفلاني، فالتصريح والقول إنما وقعا بلسان المقال لا بلسان الحال وهما متغايران، قال الشاعر العربي:

ولئن نطقتُ بشـــكْرِ بـــرِّك مفصِـــحاً فلســـانُ حـــالِي بالشـــكايةِ أنْطَـــقُ

أي ولئن مدحتك بلسان مقالي فجميع الأمارات والملابسات تناقض ذلك وتجار بالشكوى، بل هي أقوى في الدلالة على ذلك من مدحي الحاصل بالقول، وهو معنى "أنطق".

وبعد، فسنواصل بحثنا حول أخطاء أخرى مما سنفصل القول فيه على صفحات هذه المجلة في المستقبل إن شاء الله.

العلامة النحرير

الشيخ محمد المستيري

علماءُ من غزة

العارف بالله

الإمام عبد الله مسافر الباز الحسيني الغزي

اسمه ونسبه:

هو الولي الصالح، والعالم العارف، ذو العز المنيف، والقدر الشريف سيدي عبد الله مسافر بن السيد أحمد أبو مسافر بن السيد حسين أبو طاقية بن الشيخ يحيى بن الشيخ منصور - الباز الصغير المدفون بالقباب- بن شبل القبابي بن السيد خلف بن الشيخ عطية بن السيد أحمد الأزرق بن الإمام العارف بالله المفرد الزاهد شيخ وقته الباز الأشهب والترياق المجرب الشيخ منصور البطائحي العراقي - المدفون بقرية البطائح- بن الشيخ موسى الكامل بن سيدنا كامل الطاهر بن سيدنا جعفر الزكي بن سيدنا علي الهادي بن سيدنا موسى الكاظم بن سيدنا جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا علي زين العابدين بن سيدنا الحسين بن سيدنا إمام العارفين علي بن أبي طالب عليهم السلام، سليل العترة الطاهرة، وقطب غزة المنير في وقته.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى في مصر في بيت عُرِف بالشرف والفضل والصلاح، فهُم بيت ولاية ومشيخة وصلاح، وكلهم يلبسون الخرقة الصوفية من آبائهم وأجدادهم، هكذا نشأ سيدنا عبد الله مسافر الباز يرتوي من البحار الصافية والموارد النقية روح الإسلام الحنيفية، ويرتقي في علوم الحقيقة حتى أصبح مناراً يهتدي به كل مريد، وسافر من مصر للهدى والإرشاد، حتى توطن بغزة هاشم بمحلة الشجاعية، وجلس فيها معلماً ومربياً، مستقبلاً مريديه وتلاميذه، ناقلاً لهم ما توارثه من آبائه وأجداده، ودالاً إلى طريق البر والفلاح، نابذاً طريق الفسق والضلال، محارباً لأوهام المتصوفين، رادعاً لمن يتطفل على موائد السالكين.

مناقبه:

كان رحمه الله تعالى مرشداً كبيراً وعارفاً عظيماً، متصفاً بالزهد والقناعة والحِلم والتواضع، لين الجانب رقيق القلب، طاهر النفس من الحقد والغل والحسد والنفاق والرياء، أوقف زاويته للدراويش والفقراء، له كرامات، حيث اتخذ عند مقامه وزاويته مسجداً تُــقام فيه الصلوات وتُدَرَّسُ فيه العلوم الشرعية، وأصبح مزاراً لأهل العلم والعلماء والأولياء والصالحين، وكان المسجد قبل قدوم سيدنا عبد الله مسافر رحمه الله تعالى قد خرب وهجر، فأحياه بذكر الله تعالى والعلم الشرعي، فافهم ترشد.

وفاته:

توفي الشيخ عبد الله مسافر الباز رحمه الله تعالى في القرن السابع الهجري، ودُفِن بمحلة الشجاعية، وأصبح قبره مزاراً يتبرك به ذوو البصيرة والسالكون للطرق القويمة، نسأل الله تعالى أن يعيد علينا من أنواره ما ينير بصائرنا، ويطهر نفوسنا وقلوبنا، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

بلادنا فلسطين

باب وحارة المغاربة

إن مما لا يخفى أن فلسطين لم تزل قلب الإسلام النابض، فمذ فتحها سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بتسَلُّم مفاتيح بيت المقدس، تزينت بثوب الإسلام، وأصبحت غنية بالآثار الإسلامية، وحرصاً على ترسيخ مكانة فلسطين في قلب كل مسلم، يجب أن نسعى لإحياء ما يحاول المغتصب طمسه.

حينما سئِل سيدنا صلاح الدين من قبل حاشيته عن سبب إسكان المغاربة بمنطقة جنوب شرق البلدة القديمة لمدينة القدس، بجوار حائط البراق، أي عند السور الغربي للمسجد الأقصى، وهي منطقة سهلية يمكن أن يعود منها الصليبيون مجددًا - كون الجهات الثلاث الأخرى وعرة- أجاب بقوله: "أسكنت هناك من يثبتون في البر، ويبطشون في البحر، من أستأمنهم على هذا المسجد العظيم، وهذه المدينة"، وقول سيدنا صلاح الدين الأيوبي حافز لنا لمزيد المعرفة عن باب حارة المغاربة وحي المغاربة.

كانت الحارة في جنوب شرق البلدة القديمة لمدينة القدس، بجوار حائط البراق، أي حائط المبكى، التي احتلت في السادس من يونيو سنة ١٩٦٧ رومية، خلال حرب الأيام الستة، حيث احتل الكيان الصهيوني الجزء الشرقي من مدينة القدس الذي كان في ذلك الحين تحت الإدارة الأردنية، وعند نهاية الحرب (في العاشر أو الحادي عشر من يونيو) دمر الكيان المحتل حارة المغاربة، التي شملت ١٣٥ مبنى، فباب المغاربة هو جزء من حارة المغاربة، وهي من أشهر الحارات الموجودة في البلدة القديمة بالقدس، ويرجع جزء من شهرة الحارة إلى إقدام الكيان المحتل على تسويتها بالأرض بعيد احتلال القدس سنة ١٩٦٧ رومية، حيث حوّلتها إلى ساحة سمتها "ساحة المبكى" لخدمة الحجاج والمصلين اليهود عند حائط البراق.

ويتدفق من باب المغاربة ٧% من ساكني القدس المسلمين للصلاة في المسجد الأقصى، وشرع الكيان المحتل منذ الثلاثاء السادس من فبراير عام ٢٠٠٧ في هدم الطريق المؤدي لهذا الباب، وهو ما تسبب

في وقوع مواجهات بين الفلسطينيين وجنود الاحتلال الصهيوني، أسفرت عن سقوط عشرات الجرحى من الفلسطينيين.

تركز جانب من أعمال الحفريات والتخريب حول باب المغاربة، فقد قرر رئيس بلدية القدس المحتلة مساء السبت الحادي عشر من فبراير عام ٢٠٠٧ تعليق أعمال الحفر والهدم قرب الأقصى لحين المصادقة على أعمال البناء الجديدة في طريق مؤد لباب المغاربة، مع استمرار البحث عن آثار، وحذرت قيادات فلسطينية من الركون إلى هذا التعليق، كون القرار الحقيقي في هذا الشأن بيد رئيس الوزراء للكيان المحتل، إيهود أولمرت.

وكان هذا الحي وما زال رمزاً لتعلق المغاربة بالقدس، فمنذ السنوات الأولى لاعتناقهم الإسلام، كان جُلُّهم يمر بالشام بعد إتمام فريضة الحج حتى ينعم برؤية مسرى سيدنا ومولانا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، حتى يحقق الأجر في الرحلة إلى المساجد الثلاثة (المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى)، وكان المغاربة يقصدونه كذلك طلباً للعلم، كما أن الكثير من أعلام المغرب أقاموا هناك لبضع سنوات، كأمثال الشيخ سيدي صالح حرازم المتوفي بفاس أواسط القرن السادس، والشيخ الْمَقَرِي التلمساني صاحب كتاب (نفح الطيب) وغيرهم كثير.

لم تكن فريضتا الحج وطلب العلم وحدهما الدافع لتواجد المغاربة في تلك البقعة، بل كان هنالك دافع ثالث لا يقل أهمية وهو المشاركة في الحرب خلال الحروب الصليبية، فقد تطوع المغاربة في جيوش نور الدين وأبلوا بلاءً حسناً، وبقوا على العهد زمن سيدنا صلاح الدين الأيوبي إلى أن تحررت المدينة من قبضة الصليبيين بعد الفتح، اعتاد المغاربة أن يجاوروا قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم أقرب مكان من المسجد الأقصى، وعِرفَاناً منه وَقَفَ الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي هذه البقعة على المغاربة سنة ١١٩٣ رومية، الموافق لها ٥٨٣ هجرية وهي نفس السنة التي توفي فيها سيدنا صلاح الدين بعد خمس سنوات من فتحه المدينة، وسُمي الحي منذ ذلك الحين باسم حارة أو حي المغاربة، وكان يضم بالإضافة إلى المنازل عديداً من المرافق، أهمها المدرسة الأفضلية التي بناها الملك الأفضل وسميت باسمه.

عمل الكثير من المغاربة بعد ذلك على صيانة هذا الوقف وتنميته، باقتناء العقارات المجاورة له وحبسها صدقاتٍ جارية، ومن أشهرهم العالم أبو مدين شعيب تلميذ الشيخ سيدي صالح حرازم ودفين تلمسان، الذي حبس مكانين كانا تحت تصرفه، أحدهما قرية تسمى عين كارم بضواحي القدس، والآخرُ إيوانٌ يقع داخل المدينة العتيقة ويحده شرقاً حائط البراق، وبقيت جميع تلك الأوقاف محفوظة عبر السنين، وظلت الدُّول المتعاقبة على الحكم تحترمها خاصة أيام الدولة العثمانية وكذلك أيام الانتداب البريطاني.

وتيمُّناً بمسيرة علماء هذه الحارة نذكر قصة عالم من زمن سيدنا صلاح الدين الأيوبي قطع الصليبيون ذراعه فدفنها في القدس الشريف حباً بهذه المنطقة، وتوفي في تلمسان تاركاً وراءه حارة في بيت المقدس، وهو الشيخ المجاهد أبو مدين شعيب، المعروف بأبي مدين الغوث التلمساني، وهو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الأصل، كان رضي الله تعالى عنه جامعًا بين علوم الشريعة والحقيقة، اشتهر بشيخ المشايخ، وكان من أبدال وأولياء عصره المشهورين بالتقى والزهد والورع والمعرفة بالله، ولد بإشبيليا بالأندلس سنة ٥٠٩ هجرية، وتعلم في فاس ببلاد المغرب، واستقر في بجاية شرق الجزائر مدة معتبرة من حياته، وانتقل إلى الرفيق الأعلى وهو في سياحة مع عدد وافر من تلاميذه في مدينة العبَّاد بتلمسان غرب الجزائر، نشأ على حبِّ القرآن الكريم حيث كان وهو مشتغل يرعى غنيمات لأهله، يقترب من التالين له ومقرئيه فينصت لهم ويسمع، وازداد حبُّه للقرآن العظيم فعزم على حفظه وكان له ما أراد، جال شيخ المشايخ وهو في رحلته لطلب العلم في المغرب، وزار سبتة وطنجة بالشمال، واشتغل مع الصيادين ثم انتقل إلى مراكش بالجنوب وانخرط في سلك الجندية وفيها عرض أمره وغايته على من رآه نصوحًا فقال له عليك بفاس، يقول متحدثًا عن نفسه: "سرت إليها ولازمت جامعها ورغبت في من علمني أحكام الوضوء والصلاة، ثم سألت عن مجالس العلماء فسرت إليها مجلسًا بعد مجلس"، وفي هذه المجالس أخذ عن شيوخ ولازمهم ومال عن آخرين، وممن لازم وأخذ عنهم الشيخ أبو يعزى يلنور، والشيخ أبو الحسن علي بن حرزهم، وقرأ على الشيخ أبي الحسن (الرعاية للمحاسبي)، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم كذلك الشيخ أبو الحسن بن غالب - فقيه فاس-، أخذ عنه كتاب (السنن) للترمذي، والشيخ أبو علي الدقاق آخذاً عنه التصوف،

استأذن الشيخ أبو مدين رضي الله تعالى عنه شيخه أبا يعزى في الذهاب إلى الحج فأذن له، وهكذا توجه الشيخ إلى الشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة فأخذ عن العلماء، والتقى بالزهاد والأولياء، وكان من أشهر ما حدث له في هذه الزيارة المباركة لقاؤه بالشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فقرأ عليه في الحرم الشريف بركةً من الأحاديث وألبسه خرقة الصوفية وأودعه من أسراره وأنواره، وبعد زيارته المباركة للمشرق، رجع إلى إفريقيا واستوطن في شرق الجزائر في مدينة بجاية، وهنالك ظهر فضل الشيخ وكثر أتباعه وشاع اسمه وشرع في نشر طريقته بين الناس، وكان يقول: "طريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سرى السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن سيدنا ومولانا علي رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن ربِّ العالمين جل جلاله"، استجاب الشيخ لنداء الجهاد ضد الحملات الصليبية في بيت المقدس فقد دفن ذراعه بعد معركة ضدهم في القدس الشريف وعاد إلى تلمسان حيث توفي ودفن فيها سنة ١١٧٧ رومية، الموافق لها سنة ٥٧٣ هجرية، فقد ترك في باب المغاربة وحارة المغاربة أملاكاً وأراضي شاسعة وسجلت كتب التاريخ أن حفيده الشيخ أبو مدين بن شعيب بن صالح بن محمد حول تلك الأملاك بحارة المغاربة إلى وقف في ٢٩ رمضان سنة ٧٢٠ هجرية، الموافق لـــ ٣ نوفمبر سنة ١٣٢٠ رومية والمسجل في المحكمة الشرعية وقفاً تحت رقم ١٩٤ الصفحة رقم ٣٦٥ لفائدة الحجاج من المغرب العربي ويتكون الوقف من ١٥ ألف هكتار قرية عين كارم وأراضيها التابعة لها، ومباني في القدس الشريف مجاورة للمسجد الشريف وحائط المغاربة الذي يدعي اليهود أنه حائط المبكى، وهي أراضٍ كانت ملكاً لسيدي أبي مدين، ويذكر صاحب كتاب حكم سيدي أبي مدين في الصفحة الثالثة أن لجنة من تلمسان تأسست يوم ١٧ مايو سنة ١٩٥٢ رومية، وكان يرأسها العشعاشي محمد وهو من العائلات التلمسانية العريقة المعروفة بتاريخها في المجال الخيري والدعوي وذلك للحفاظ على وقف سيدي أبي مدين، نسأل الله العظيم أن ينعم علينا بزيارة هذه الأعتاب التي وطئتها أقدام هؤلاء الأولياء، وأن يطهرها من دنس المغتصب، وأن يحفظ ما بقي منها، ويعيدها إلينا ظافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.